

اجتهادات بين التجديد والتجديف

كثيراً ما يُخلط بين ما يُعدّ تجديدًا دينيًا، وما يُعدّ تجديدًا أو ازدراءً للأديان. وأكثر منه استسهال تسمية كلام غير مدروس ينطوى على طعن في ثوابت دينية تجديدًا. ويكثر أيضًا القفز إلى اتهام من يتحدث عن تجديد ديني بغير علم بالتجديف، وأحيانًا بالإلحاد.

ويعود ذلك إلى أسبابٍ من أهمها غياب الحوار الجاد، وعدم الجدية في البحث، واعتقاد كل عابر سبيل أنه يعرف في كل شيء. فقد مضى زمنٌ كان الحوار فيه سبيلًا للتعارف والتفاعل بين أفكار ومواقف متناقضة سواء في قضايا الدين والتراث أو غيرها. في 1937 مثلاً نشر إسماعيل أدهم كتيبًا صغيرًا عنوانه (لماذا أنا مُلحد؟). عنوان يُغلق باب أي حوار اليوم، ولكنه فتح أبوابًا للنقاش جاد في حينه. لم يُسَفَّ طرْحُه أو يُطعن فيه برغم خفته، بل نوقش محتواه في كتابات كان أهمها

الكُتيب الذى نشره محمد زكى أبو شادى كملحق لمجلة
«أدبى» (لماذا أنا مؤمن؟)

وبرغم أن أدهم جهر بإلحاده، فمشكوك فى أنه كان يدرك
أن الإلحاد موقفٌ فلسفى يُعبر فى أحيانٍ كثيرة عن حيرةٍ
تدفع لمحاولة البحث عن الحقيقة. وكثيراً ما تنتهى هذه
المحاولة حين تكون مجردةً من الهوى إلى الإيمان كما
حدث مثلاً فى رحلة د. مصطفى محمود الفكرية

ومثلما كان إسماعيل أدهم، لا يملك كثير ممن يدعون
أنهم يُجدّدون فى الدين الآن المعرفة التى تؤهلهم لذلك،
ناهيك بإطلاق أحكام قاطعة. ويبدو أن هناك أكثر من دافعٍ
لهذا السلوك. السعى إلى الشهرة من باب خالف تُعرف
دافعٌ شائع يصل لدى البعض إلى حد الهوس

تحتاج المجتمعات إلى تجديد شامل، وليس دينى فقط.
ولكنها تحتاج أكثر إلى أن يكون هذا التجديد مدروساً
وهادفاً لتطويرها بحق، وليس مدفوعاً بمصالح خاصة.